



إن سقوط الحضارات وانهيارها وهلاك الأمم وذهبابها له أسبابه وعوامله المنسجمة مع سنن الله تعالى ونوميسه، والهلاك نوعان، الأول: هلاك الأخذ والاستئصال، وقد توقف وانتهى ببعثة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" سورة الأنبياء: 107، الثاني: هلاك الهزيمة والانهيار والضياع، وهذا النوع سنة باقية على الأمم حتى قيام الساعة. ومن خلال دراسة تاريخ الأمم السابقة التي ذهبت إلى غير رجعة.

وباستقراء آيات القرآن الكريم يتبيّن أن هلاك الأمم وسقوط الحضارات يرجع في الجملة إلى الأسباب التالية:-

1- الكفر بالله تعالى ورسله: قال تعالى: "كَدَّ أَبَآلْ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخْذَهُمُ اللَّهُ بِذَنْبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌ شَدِيدُ الْعِقَابِ" الأنفال: 52. وبعد أن أخبر الله تعالى عن إهلاك قوم سباً قال عز وجل: "ذَلِكَ جَزِينَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهُلْ نَجَازِي إِلَّا الْكُفُورِ" سباً: 17.

2- التكذيب لهدى الرسـل: قال تعالى: "وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا فَقَلَّنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا وَقَوْمَ نُوحَ لَمَا كَذَّبُوا الرَّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَاعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عِذَابًا أَلِيمًا وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسْلِ وَقَرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا" الفرقان: 35-38. وقال تعالى: "قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سِنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَبِّنِينَ" آل عمران: 137.

3- الظلـم: قال تعالى: "وَلَقَدْ أَهْلَكَنَا الْقَرْوَنَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَا ظَلَمُوا.." يوئـس: 13. وقال تعالى: "فَكَأْيَنِي مِنْ قَرْيَةً أَهْلَكَنَا هَا وَهِيَ ظَالِمَة.." الحـجـ: 45.

4- الفسـاد في الأرض: قال تعالى: "ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فَرْعَوْنَ وَهَامَـدَ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ" الأعراف: 103.

5- الاستـكبار في الأرض: قال تعالى عن فرعـون وجـنـودـه: "وَاسْتَكَبَرُوا هـوـ وـجـنـودـهـ فـي الـأـرـضـ بـغـيـرـ الـحـقـ وـظـنـواـ أـنـهـمـ إـلـيـنـاـ لـاـ يـرـجـعـونـ فـأـخـذـنـاهـ وـجـنـودـهـ فـنـبـذـنـاهـ فـي الـيـمـ فـانـظـرـ كـيـفـ كـانـ عـاقـبـةـ الـظـالـمـيـنـ" القصصـ: 40-39.

6- انتـشار الرـذـائل وفسـاد الأـخـلـاق: قال تعالى عن هلاك قـومـ لـوطـ: "وَلَوْطًا إـذـ قـالـ لـقـومـهـ أـنـأـتـونـ الـفـاحـشـةـ مـاـ سـبـقـكـمـ بـهـاـ مـنـ أـحـدـ مـنـ الـعـالـمـيـنـ إـنـكـمـ لـتـأـتـونـ الـرـجـالـ شـهـوـةـ مـنـ دـوـنـ النـسـاءـ بـلـ أـنـتـمـ قـومـ مـسـرـفـوـنـ" .. ثـمـ بـيـنـ اللـهـ تـعـالـىـ هـلاـكـهـمـ فـقـالـ: "وَأـمـطـرـنـاـ عـلـيـهـمـ مـطـرـاـ فـانـظـرـ كـيـفـ كـانـ عـاقـبـةـ الـمـجـرـمـيـنـ" الأـعـرـافـ: 80-84.

7- استـفحـالـ الذـنـوبـ وـالـمـعـاصـيـ وـالـفـسـقـ: قال تعالى: "أَلَمْ يـرـواـ كـمـ أـهـلـكـنـاـ مـنـ قـبـلـهـمـ مـنـ قـرنـ مـكـنـاهـمـ فـيـ الـأـرـضـ مـاـ لـمـ نـمـكـنـ" الأـعـرـافـ: 7.

لهم وأرسلنا السماء عليهم مدراراً وجعلنا الأنهر تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين" الأنعام: 6. وقال تعالى: "أولم يسيراوا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وأثراً في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق" غافر: 21. وقال تعالى في هلاك قوم ثمود: "فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسوها ولا يخاف عقباها" الشمس: 14-15. وقال تعالى: "إذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرنناهم تدميرأ" الإسراء: 167. وقال تعالى: "وكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا.." يونس: 33.

8- التمرد على أوامر الله تعالى والاستهزاء بها وعدم القيام بواجب النعمة والفضل لله: قال تعالى: "وكأين من قرية عنت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حساباً شديداً وعذبناها عذاباً نكراً فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسراً" الطلاق: 8-9. وقال تعالى: "فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين" الأنعام: 44-45.

وبتطبيق عوامل الانهيار والهلاك للأمم السابقة على الحضارة المادية الشيوعية والحضارة الغربية المعاصرة يتضح لنا بجلاء أنه قد أحاطت بهاتين الحضارتين كل العوامل السابقة من كل جانب، من الكفر والتكذيب والتمرد على شرائع الله تعالى وهدى رسle، واستفحلت فيها الذنوب والمعاصي والآثام، وانغمست في مستنقعات الشهوات والرذائل، وبلغت من القوة المادية شأنأً عظيماً.

وإذا كانت الحضارة الشيوعية قد سقطت وهوت نظرية وتطبيقاً ودولة عظمى، فإن الحضارة الغربية الرأسمالية تنتظر أيضاً الهاوية والهلاك والسقوط.. تنتظر أن تجري فيها سنن الله تعالى التي جرت في الأمم البائدة قال تعالى: "سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلأ" الأحزاب: 62، وعندما لن ينفع العلم ولا التقدم المادي أصحابها كما لم ينفع السابقين الهاليkin قال تعالى: "أفلم يسيراوا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وأثراً في الأرض فما أغنوا عنهم ما كانوا يكسبون فلما جاءتهم رسلهم بالبيانات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون" غافر: 83. وقال تعالى: "أولم يسيراوا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبيانات فما كان الله ليظلمهم لكن كانوا أنفسهم يظلمون" الروم: 9.

يقول الأستاذ عمر عبيد حسنة: "ولقد ذهب علماء الحضارات، كثمرة لاستقرارهم التاريخي، وصفحات السقوط والنهوض، إلى أن الحضارة، أية حضارة، تمر بمراحل ثلاث، هي:-

* **المرحلة الأولى:** هي مرحلة الفكرة، مرحلة الإيمان بالهدف، الذي يملأ على الإنسان نفسه، ويشكل له هاجساً دائماً، وقلقاً سوياً، ويدفعه للعطاء غير المتناهي، والتضحية في سبيل ذلك، بكل شيء، بما يمكن أن يعتبر أن من أهم سمات هذه المرحلة: بروز إنسان الواجب، الذي لا يرى إلا ما عليه، ويقبل على فعله باواعز داخلي، بإيمان، واحتساب، دون أن يخامر عقله، ماله من حقوق، هو إنسان واجب، إنسان إنتاج، وليس إنسان حق فقط، إنسان استهلاك، وقد يكون من المفید هنا، أن نذكر بحديث الرسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي وصف مرحلة الوهن الحضاري، والإشراف على السقوط، وحدد معادلتها، عندما سئل عن الوهن، الذي يصيب الأمة قال: "حب الدنيا" (رواه أحمد 5/278): (ظهور إنسان الغريزة-إنسان الاستهلاك)، (وكراهية الموت) (وغياب إنسان الإيمان، والإنتاج والاحتساب).

* **أما الدورة الحضارية الثانية، أو المرحلة الحضارية الثانية، التي تمر بها الأمة، هي مرحلة العقل، وضمور الإيمان، وفتور الحماس، نسبياً، مرحلة التوازن، بين العمل والأجر، بين الحق والواجب، بين الإنتاج والاستهلاك، بين الدنيا والآخرة، دورة ضبط النسب، حلول العدل، محل الإحسان، وهنا تصل الحضارة إلى قمتها، وتببدأ مرحلة السقوط، إذا لم تستدرك ما يتسرّب لها من أمراض.**

* **والدورة الحضارية الثالثة**، أو مرحلة ما قبل السقوط النهائي، هي مرحلة غياب الإيمان وبروز الشهوة، والغرائز، وانكسار الموازين الاجتماعية، واستباحة كل شيء وبكل الأساليب وعندما تسقط الحضارة، وتموت الأمة، ويتم الاستبدال.”.

صفحة الكاتب على فيسبوك

المصادر: